Gender Studies ◆ الدراسات النسويّة

العلاقة بين الباحثة الفلسطينيّة في إسرائيل ومشارِكات البحث: الفلسطينيّات المسلمات أنموذجًا

عائشة اغباريّة

كانون الثاني 2023

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية

برنامج الدراسات النسويّة

العلاقة بين الباحثة الفلسطينيّة في إسرائيل ومشارِكات البحث:
الفلسطينيّات المسلمات أنموذجًا

عائشة اغباريّة: طالبة لنَيْل إجازة الدكتوراة في كلّيّة الصحافة والإعلام في الجامعة العبريّة في القدس

محررة مسؤولة: د. عرين هواري
تصميم: أمل شوفاني
تدقيق لغوي: حنّا الحاجّ
مديرة النشر والانتاج: إيناس خطيب

العنوان: همغينيم 90 حيفا
البريد الإلكتروني: mada@mada-research.org
رقم الهاتف: 04-8552035

مقدّمة:

إنّ التساؤلات بشأن العلاقة بين الباحث/ة ومجموعة البحث والمشاركين فيه غير جديدة نسبيًّا، ولا سيّما في ما يخصّ البحث النوعيّ الاجتماعيّ الذي قد ينكشف فيه الباحث/ة على تفاصيل حسّاسة في حياة المشارِكين.[1] وتتناول هذه العلاقة على نحوٍ خاصّ المنهجيّاتِ البحثيّةَ النسويّة والتي تثير أسئلة جوهريّة بشأن المكانِ الذي قد تأخذه المشارَكة في البحث في ذهن المشارِكات (غالبًا)، واستحالةِ تجاهل هُويّة الباحث/ة والمشاركين في مثل هذه الدراسات.[2]

تكمن الإشكاليّة في هذا الصدد عند مشاركة نساء من مجموعات مستضعَفة، وإذا كان الباحث/ة ينتمي /تنتمي إلى مجموعة إثنيّة أو قوميّة أخرى تنظر إلى مجموعتها (المستضعَفة) نظرة فوقيّة، ولا سيّما حين يكون الباحث/ة من أصول أوروبيّة، والمشارِكُ في البحث من المجموعات التي عانت أو ما زالت تعاني من الاستعمار. ويجدر بالذكر أنّه على الرغم من وجود أبحاث عديدة تناولت تجربة الباحث في استكشاف مجتمعه، فإنّ معظمها يعرض تجربة الباحث أو الباحثة، وقلّة قليلة منها تعرض كذلك تجربة المشارِك أو المشارِكة في البحث، على الرغم من أنّ المشارَكة في الأبحاث الاجتماعيّة قد تؤثّر على المشارِك كما تؤثّر على الباحث.[3] وإضافة على التعقيدات القائمة مسبقًا في البحث النوعيّ الاجتماعيّ للمجموعات المستضعَفة، فإنّ الباحث في بعض الحالات يأتي من وسط أكاديميّ يراه المشارِك معاديًا له، كما هي الحال لدى مشارَكة الفلسطينيّات في إسرائيل في الأبحاث التابعة للأكاديميا الإسرائيليّة، ممّا يجعل هُويّة الباحث ذات أهمّيّة أكبر بنظر المشارك.

يتميّز الفلسطينيّون في إسرائيل بهُويّة مركّبة وذات مستويات مختلفة قد يصل بعضها إلى حدّ التناقض (كالهُويّة القوميّة العربيّة /الفلسطينيّة والهُويّة المدنيّة الإسرائيليّة)، إلّا أنّ هذه المجموعة السكّانيّة تعرّف نفسها بالأساس مجموعة ذات هُويّة فلسطينيّة تعيش في إسرائيل.[4] أتطرّق هنا إلى الهُويّة لأنّها تصف إحساس المرء وتعريفه لذاته ولانتمائه الجماعيّ.[5]

يرى الفلسطينيّون في إسرائيل أنفسهم جزءًا من الأمّة العربيّة ككلّ، فهم يتأثّرون بالأحداث في الدول العربيّة. من أمثلة ذلك «الصحوة الإسلاميّة» التي رافقتها تغييرات اجتماعيّة وسياسيّة أخرى في العالم العربيّ خلال العَقدين الأخيرَيْن، واعتُبِرت عاملًا مؤثّرًا في الهُويّة الدينيّة لدى المسلمين في البلاد.[6]

---

1. Johns, Mark D., Chen, Shing-Ling, & Hall, Jon G. (2004). **Online social research: methods, issues & ethics**. Peter Lang Inc., International Academic Publishers.

2. DeVault, Marjorie L. (1999). **Liberating method: Feminism and social research**. Philadelphia: Temple University Press.

- Hesse-Biber, Sharlene N. (2007). Feminist approaches in-depth interviewing. In Hesse-Biber, Sharlene N. (Ed.). **Feminist research practice: A primer** (pp. 111-138). Sage Publishing.

3. Hutchinson, Jonathon; Martin, Fiona, & Sinpeng, Aim. (2017). Chasing ISIS: Network power, distributed ethics and responsible social media research. In Zimmer, Michael, & Kinder-Kurlanda, Kathrina (Eds.). **Internet research ethics for the social Age: New challenges, cases, and contexts** (pp. 57-73). Peter Lang International Academic Publishers.

4. الشيخ، أحمد محمّد؛ وخطيب، محمّد؛ ورزق مرجيّة، سوسن. (2018). **الفلسطينيّون في إسرائيل: المسح الاجتماعيّ الاقتصاديّ الخامس 2017: النتائج الأساسيّة**. شفاعمرو: جمعيّة الجليل - الجمعية العربيّة القطْريّة للبحوث والخدمات الصحّيّة، وركاز - بنك المعلومات عن الأقلّيّة الفلسطينيّة في إسرائيل.

5. Burke, Peter J., Owens, Timothy J., Serpe, Richard T., & Thoits, Peggy A. (2003). **Advances in identity theory and research**. Boston, MA: Springer Us.

- Howard, Judith A. (2000). Social psychology of identities. **Annual review of sociology**, 26(1). Pp. 367-393.

6. Al-Atawneh, Muhammad, & Ali, Nohad. (2018). **Islam in Israel: Muslim communities in non-Muslim states**. Cambridge University Press.

تتميّز النساء المسلمات المتديّنات في إسرائيل، كما النساء المسلمات على وجه العموم، بلباس يَسِمهنّ بطابع مرئيّ لهُويّتهنّ الدينيّة (الحجاب على أنواعه ودرجاته)، وهو ما يؤثّر على مكانتهنّ الاجتماعيّة، وكذلك على مسيرتهنّ المهنيّة وتحقيق أهدافهنّ.[7] إضافةً إلى الجانب الدينيّ، لممارسات النساء المسلمات الدينيّة وكذلك لنشاطهنّ النسويّ صِلة بهُويّتهنّ السياسيّة.[8] وفي واقع الأمر، الفصل بين أيّ جانب من هُويّة الفلسطينيّين المسلمين في إسرائيل وحقيقةِ عيشهم تحت السلطة الإسرائيليّة أمرٌ مستحيل؛ إذ تتأثّر جوانب حياتهم المختلفة بواقعهم السياسيّ لأنّهم يعيشون داخل دولة يهوديّة، تحت احتلال، وبالسياسات الإسرائيليّة التي هي كذلك قد تعيق تقدُّمهم، وبخاصّة النساء؛ إذ يواجهن تحدّيات في الدراسة والعمل وعلى صعيد التأثير المجتمعيّ.[9] أضف إلى هذا أنّ البحث الذي يُعنى بالإسلام في إسرائيل -والذي نجد معظمه باللغة العبريّة- يعاني من فقر معلوماتيّ نتيجة تركيزه على الجانب السياسيّ والتنظيميّ الإسلاميّ، وبخاصّة الحركة الإسلاميّة في إسرائيل كجسم ممثِّل لجميع المسلمين في إسرائيل مع تجاهل هُويّة وأسلوب حياة المسلمين غير المنتمين إلى أحزاب كما يوضّح العطاونة وحاطينا.[10]

على ضوء ما ذُكر، عند الحديث عن إجراء أبحاث تُعنى بهذه المجموعة في الأكاديميا الإسرائيليّة، لا بدّ من الأخذ بعين الاعتبار احتمال وجود أفكار مختلفة لدى المشارِكات في البحث، في ما يتعلّق بشرعيّة مشارَكتهنّ في الأبحاث وبالخوف من الأبعاد المحتمَلة لهذه المشارَكة. فكما يشير جون واغباريّة[11] في بحثهما حول إنهاء العلاقات الإنترنتيّة بين الفلسطينيّين واليهود في إسرائيل، غالبًا عبر خاصّيّة إلغاء الصداقة والحظر في موقع فيسبوك، كانت ثمّة صعوبة في تجنيد المشاركين بسبب ظنّ البعض منهم أنّ البحث ذو أبعاد سياسيّة قد تتسبّب لهم في العديد من المشاكل. هذا الشعور بالرقابة يمكن ربطه بالمُناخ العامّ في المجتمع الفلسطينيّ وشعور السكّان الفلسطينيّين بأنّهم مراقبون من قِبَل أجهزة الدولة،[12] وأنّهم محاسَبون على نشاطهم وعلى آرائهم السياسيّة _ الدينيّة، ولا سيّما بعد إخراج الحكومة الإسرائيليّة للحركة الإسلاميّة (الجناح الشماليّ) عن القانون عام 2015. ذاك يؤثّر على استعدادهم للحديث بطريقة نقديّة، فوجود هذه المجموعة تحت احتلال فرض حكمًا عسكريًّا في فترة الأعوام 1948-1966، ومارس ضغوطًا سياسيّة وتضييقات في عدّة جوانب، يرسم للفلسطينيّين الحدودَ المتاحة للحديث والتعبير عن الرأي.[13] ولا يمكن تجاهُل فلسطينيّةِ مجموعة البحث وإسرائيليّةِ الأكاديميا، ولا سيّما إذا اشتملت منهجيّة البحث على مقابَلات أو مشاهَدات توثّق

7. Arar, Khalid, & Shapira, Tamar. (2016). Hijab and principalship: The interplay between belief systems, educational management and gender among Arab Muslim women in Israel. **Gender and Education**, 28(7). Pp. 851-866.

8. المصري، خلود. (2016). **النسويّة الإسلاميّة ودورها في التنمية السياسيّة في فلسطين**. لبنان: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.

- Daoud, Suheir Abu Oksa. (2009). **Palestinian women and politics in Israel**. University Press of Florida.

9. Daoud, Suheir Abu Oksa. (2012). Palestinian working women in Israel: National oppression and social restraints. **Journal of Middle East Women's Studies**, 8(2). Pp 78-101.

10. Al-Atawneh, Muhammad, & Meir, Hatina. (2019). The study of Islam and Muslims in Israel. **Israel Studies**, 24(3). Pp 101-125.

11. John, Nicholas, & Agbarya, Aysha. (2021). Punching up or turning away? Palestinians unfriending Jewish Israelis on Facebook. **New Media & Society**, 23(5). Pp.1063-1079.

12. Zureik, Elia. (2011). Colonialism, surveillance, and population control: Israel/Palestine. In Zureik, Elia; Lyon, David, & Abu-Laban, Yasmeen (Eds.). **Surveillance and control in Israel/Palestine: Population, territory and power** (pp. 3-46). Routledge.

13. Sabbagh-Khoury, Areej. (2010). Palestinian predicaments: Jewish immigration and refugee repatriation. In Kanaaneh, Rhoda Ann, & Nusair, Isis (Eds.). **Displaced at home: Ethnicity and gender among Palestinians in Israel** (pp. 171-188). New York: SUNY Press.

آراء المشاركين وأقوالهم، وإن حاولت طمْأنتهم عبر الوعد بإبقاء هُويّتهم مجهولة طيّ الكتمان، في ظلّ معرفة أنّ البحث يجرى في الأكاديميا الإسرائيليّة. يمكن لاستكشاف العلاقة بين الباحث والمشارك، والدافع لدى كليهما في الإسهام للبحث، أن يساعد في فهم مصداقيّة هذه الأبحاث والقيمة المضافة التي قد تسهم بها الباحثة الفلسطينيّة عند إجراء أبحاث اجتماعيّة تتعلّق بمجموعتها الإثنيّة _ الدينيّة.

يُعنى هذا البحث بدراسة علاقة الباحثة بمجموعة البحث من خلال التطرّق إلى تجارب أربع باحثات وعلاقتهنّ بالمشارِكات خلال إجراء البحث وبعد الانتهاء منه. وبناءً على ما ذُكر أعلاه، يعالج البحث السؤالَيْن المركزيَّيْن التاليَيْن:

- كيف ترى النساء المسلمات في إسرائيل دَوْر الباحثة تجاههنّ أكاديميًّا واجتماعيًّا؟
- كيف ترى النساء المسلمات في إسرائيل دَوْرهنّ كمشارِكات في أبحاث تتركّز في هُويّتهنّ؟

للإجابة عن الأسئلة، سأتناول في هذه الورقة ملاحظات نساء مسلمات حول مشاركتهنّ في أبحاث أُجرِيَتْ في إطار الأكاديميا الإسرائيليّة، وشهادات باحثات فلسطينيّات حول تجاربهنّ في إجراء أبحاث مع النساء المسلمات الفلسطينيّات في إسرائيل.

النساء المسلمات وتمثيلهنّ في البحث الاجتماعيّ

كان للاستعمار الأوروبيّ دَوْر أساسيّ في صياغة البحث الاجتماعيّ وطريقة عرض «الآخَر» في الأبحاث التي يُجريها الباحثون الأوروبيّون؛ إذ حتّى بعد انتهاء فترة الاستعمار ما زال هؤلاء الباحثون يتطرّقون إلى «الآخَر»، الذي يَدْرسون ثقافته، بمعايير قوى مختلفة تُظهِرهم متفوّقين ثقافيًّا واجتماعيًّا على المجموعة التي يبحثونها، وهو ما يخلق بحثًا ذا طابع استعماريّ بقصد أو بغير قصد.[14] تتحدّث ليلى أبو لغد وآخرون عن هذه الأخطاء البحثيّة وانعكاسها على منهجيّة ونتائج الأبحاث وبالتالي تطوُّر البحث الاجتماعيّ في ما يخصّ النساء المسلمات، إذ يُنظر إليهنّ كمجموعة مستضعَفة تحتاج إلى الخلاص من مجتمعها من خلال مساعدتها للوصول إلى الثقافة الغربيّة، وتُبيِّن أبو اللغد[15] أنّ البحث الغربيّ يعتمد على آراء مسبقة وفرضيّات غير مؤسَّسة عند توجُّهه لبحث النساء المسلمات.

عند الحديث عن تغييرات في الهُويّة الدينيّة في سياق الأبحاث الاجتماعيّة، وخاصّة أبحاث الإعلام الحديث، نجد أنّ الأبحاث بغالبيّتها تميل إلى إظهار تطرّف دينيّ سلبيّ مصحوب بتأييد لجهات سياسيّة ودينيّة ذات طابع عنيف أو غير مقبول غربيًّا.[16] هذا العرض غير الشامل للنساء المسلمات

14. Abu-Lughod, Lila. (2008). Writing against culture. In Oakes, Timothy, & Price, Patricia L. (Eds). **The cultural geography reader** (pp. 62-71). Routledge.

15. Abu-Lughod, Lila. (2002). Do Muslim women really need saving? Anthropological reflections on cultural relativism and its others. **American anthropologist**, 104(3). Pp. 783-790.

- McNeal, Melani. (2008). Do Muslim women really need saving? Mission, reconciliation and gender in the Arab world. **St Francis Magazine**, 4(3). Pp. 1-12.

16. For example:
Ghajar-Khosravi, Shadi; Kwantes, Peter; Derbentseva, Natalia, & Huey, Laura. (2016). Quantifying salient concepts discussed in social media content: An analysis of tweets posted by ISIS fangirls. Journal of Terrorism Research, 7(2). Pp. 79-90.

- Varanese, Joseph A. (2016). **"Follow me so I can DM you back": An exploratory analysis of a female pro-ISIS twitter network**. Western University Press.

- King, Michael, & Taylor, Donald M. (2011). The radicalization of homegrown Jihadists: A review of theoretical models and social psychological evidence. **Terrorism and political violence**, 23(4). Pp. 602-622.

يظهر في مجالات بحث أخرى كذلك، كالبحث التاريخيّ الذي يهمل دَوْر النساء الإيجابيّ في العالم الإسلاميّ، ومن الأمثلة لذلك دَوْر النساء الأيّوبيّات في تشكيل المجتمع وتطوير الحركة الصوفيّة ودعمها ماديًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا.[17] ونرى أنّ هذا النقاش يأخذ حيّزًا في الأدبيّات، ككتاب «**في وطني أبحث، المرأة العربيّة في ميدان البحوث الاجتماعيّة**»[18] الذي يناقش عدّة مستويات من مشارَكة الباحثات العربيّات في بحث مجتمعاتهنّ عبْر الجوانب المختلفة من هُويّتهنّ: الجندريّ؛ القوميّ؛ الاجتماعيّ. يعرض الكتاب تجارب باحثات عربيّات في بحث مجتمعات عربيّة، ويمكن أن نرى بوضوح أنّ هنالك عدّة عوامل تصوغ تجربة البحث وقد تؤثّر على نحوٍ مباشر أو غير مباشر على نتائج البحث، ومنها:

1. هُويّة الباحثة كدافع لاختيار سؤال البحث: فقد يكون ما أوصل الباحثةَ إلى إجراء بحث في مجتمعها هو هُويّتُها، وكذلك التساؤلاتُ التي تواجهها في الأكاديميا الغربيّة بشأن هذه الهُويّة.
2. الباحثة كامرأة ذات مزايا «غربيّة»: إذ نرى أنّ الباحثات يتحدّثن عن نظرة مجموعات البحث إليهنّ على نحوٍ مختلف عن نساء هذه المجموعة؛ فالباحثة هي «أصليّة» في هذه المجموعة بسبب عروبتها، ولكن «ليس إلى النهاية» -بسبب نظام حياتها المختلف.
3. مشاعر الباحثة وموقفها من مجموعة البحث: حيث لا يمكن إنكار أهمّيّة هذا العامل في التأثير على نتيجة البحث، وهو أمر قد ذُكِر سابقًا في أدبيّات الأنثروپولوجيا،[19] خاصّة في البحث النوعيّ الذي يعتمد أوّلًا على تحليل الباحثة لهذه المعطيات والنقاط التي تلتفت إليها بصورة غير موضوعيّة.

أمّا في ما يتعلّق بالنساء الفلسطينيّات، فإنّهنّ مجموعة لا يمكن فصلها عن السياق السياسيّ والتاريخيّ الذي عايشنه ويعايشنه،[20] وبالتالي فحالة الباحثات الفلسطينيّات في الأكاديميا الإسرائيليّة هي حالة خاصّة، وإن كان فيها أوجه من الشبه مع تجارب باحثات أخريات، وبخاصّة في ظلّ كونهنّ جزءًا من شعب محتلّ ضمن إطار أكاديميّ تابع للمحتلّ، الأمر الذي من شأنه أن يولّد تناقضات عديدة، ويطرح أسئلة أساسيّة بشأن هُويّة الأكاديميّ في مؤسّسة ودولة لهما أيديولوجيا منافية لهُويّته،[21] وبشأن إمكانيّة تقمُّصه لدَوْر «المتحدّث باسم» مجموعته، مقابل علاقات القوى القائمة بين الباحثين والمشارِكين والتي لا يمكن إنكارها؛ حيث الباحث هو راوي الرواية وهو الذي يسيطر على مجريات البحث.[22]

---

17. Helminski, Camille A. (2003). **Women of Sufism: a hidden treasure**. Shambhala Publications.

18. الصلح، كاميليا فوزي؛ وَالتركي، ثريّا. (1993). **في وطني أبحث: المرأة العربيّة في ميدان البحوث الاجتماعيّة**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة.

19. Clifford, James. (1986). On ethnographic allegory. In Clifford, James, & Marcus, George E. (Eds). **Writing culture: The poetics and politics of ethnography** (pp. 98-121). Routledge.

20. Abu-Rabia-Queder, Sarab. (2018). The dissipation of the Green Line in Palestinian women's research in Israel: Production of ethical knowledge and research justice. In Mustafa, Mohanad (Ed.). **70 years of Nakbah** (pp. 20-40). Haifa: Mada al-Carmel–Arab Center for Applied Social Research.

21. محاجنة، إبراهيم. (2019). **صمت ‹الحاضرون الغائبون› - المحاضرون العرب في الأكاديميا الإسرائيليّة**. بيت بيرل.

22. For example:

- Wolf, Daniel. L. (1996). Situating feminist dilemmas in fieldwork. In Wolf, Daniel, L. (Ed.). **Feminist dilemmas in fieldwork** (pp. 1-54). Boulder, CO: Westview Press, A Division of Harper Collins Press.

- Michalowski, Raymond J. (1996). Ethnography and anxiety: Field work and reflexivity in the vortex of US-Cuban relations. **Qualitative Sociology**, 19(1). Pp. 59-82.

كذلك يجب الأخذ في الحسبان التقلّبات التي حصلت خلال العقود الأخيرة في ظلّ تغييرات عديدة، كالعَوْلمة والانكشاف على أساليب حياة أخرى، وآراء وحضارات أخرى، عبر الإعلام الحديث، وزيادة نسبة النساء الأكاديميّات والعاملات، والتغيُّر في هُويّة المجتمع الدينيّة وتقدُّم البحث بشكل عامّ. بالتالي، وجود النساء المتزايد في الأكاديميا يمكن أن يُنْبئ بحصول تغيُّر محتمَل؛ إذ نرى أنّ هناك زيادة في عدد النساء الفلسطينيّات اللواتي ينهين دراستهنّ الثانويّة وينضممن إلى الدراسة الأكاديميّة بسبب عدّة تغيُّرات، في المجتمع الفلسطينيّ وكذلك في الأكاديميا الإسرائيليّة (كافتتاح الكلّيّات القريبة من القرى والمدن العربيّة)، لكن على الرغم من وجود هذه التغيُّرات، ما زالت نسبة النساء الفلسطينيّات في مسارات الدكتوراة في الجامعات الإسرائيليّة قليلة (5.7% من طلبة الدكتوراة في الأكاديميا الإسرائيليّة هم من الفلسطينيّين).[23]

زد على هذا أنّ تمثيل النساء الفلسطينيّات بين الطواقم الأكاديميّة في الجامعات الإسرائيليّة شبه معدوم؛ فنسبة المحاضرين الفلسطينيّين في الأكاديميا الإسرائيليّة تتراوح بين 1% وَ 3%، كما أنّ نسبتهم في الطواقم الإداريّة 1.5% فقط -وتلك تُعَدّ نسبة قليلة جدًّا مقابل نسبة الفلسطينيّين في إسرائيل الذين يمثّلون نحو 20% من مواطني الدولة.[24]

وفي الصدد نفسه، وجد خالد عرار أنّ المحاضِرات الفلسطينيّات في الأكاديميا الإسرائيليّة يتحدّين عدّة صعوبات في سبيل الوصول إلى مكانتهنّ في المجتمع الأكاديميّ، وفي المقابل يكسبن مكانة اجتماعيّة تُحوّلهنّ إلى قدوة في مجتمعهنّ، وتجعلهنّ أكثر التزامًا بالنضال ضدّ اضطهاد النساء في مجتمعهنّ؛ فالمسيرة المهنيّة الأكاديميّة للنساء الفلسطينيّات في إسرائيل تتأثّر وتؤثّر على مكانتهنّ وهُويّتهنّ الإثنيّة والاجتماعيّة.[25]

الصوت (voice)

أتناول في هذه المقال إلى العلاقة بين الباحث/ة والمشارِكات/ين كعلاقة حِواريّة (Dialogic relation) وأعتمد نظريًّا وتطبيقيًّا على مصطلحات وضعها الباحث بَخْتِين في ما يتعلّق باللغة واستخدامها.

يُعرِّف بَخْتِين اللّغة بأنّها «كلّ نظام تواصليّ يوظّف إشارات ذات نمط محدّد».[26] وبحسب بَخْتِين، كلّ شخص يحاول إسماع صوته (Voice) في الخطاب يتأتّى له ذلك عن طريق انتقاء الكلمات والإشارات. تمثيلًا لذلك نتناول حالة البحث الأكاديميّ؛ فإنّ صوت مجموعة البحث يمرّ عبر الباحث، ممّا يحيلنا إلى التفكير أنّ صوت مجموعة البحث لن يُنقل نقلًا مباشرًا، وإنّما يَنتج عنه حديث غير مباشر كون الباحث وسيطًا في هذه الحالة،[27] ويمكن حلّ هذه المعضلة من خلال استخدام الكلمات ذاتها التي يقولها المشارِكون، وفي حالة التقارير البحثيّة تبرز هنا أهمّيّة استخدام الاقتباسات الدقيقة.[28] في المقابل، عند كتابة التقرير البحثيّ بلغة ليست

23. Council for Higher Education. (2016). **The higher education system in Israel. Jerusalem**. [Hebrew]

24. Arar, Khalid, & Haj-Yehia, Kussai. (2016). **Higher education and the Palestinian Arab minority in Israel**. Springer.

25. Arar, Khalid. (2018). Female Arab faculty staff in the Israeli academy: Challenges and coping strategies. **International Journal of Educational Development**, 62. Pp. 313-321.

26. Holquist, Michael (Ed.). (1981). **The dialogic imagination: Four essays by M. M. Bakhtin**. Austin: University of Texas. P. 430.

27. Wierzbicka, Anna. (2018). Emotion of Jesus. **Russian Journal of Linguistic**, 22(1). Pp. 38-53.

DOI: https://doi.org/10.22363/2312-9182-2018-22-1-38-53

28. Wierzbicka, Anna. (1974). The semantics of direct and indirect discourse. **Research on Language & Social Interaction**, 7(3-4). Pp. 267-307.

اللغة ذاتها التي تحدّث المشاركون بها، قد يزيد احتمال استخدام تعابير ومفردات قد تُخِلّ بالمعنى الدقيق الذي قصده المشارِكون.

في الحالة المركَّبة التي تتّسم بها الباحثات الفلسطينيّات في الأكاديميا الإسرائيليّة، يمكن أن نلاحظ إمكانيّة نقل صوت مجموعة البحث على نحوٍ أدقّ، لكون الباحثة تتحدّث بلغة المشارِكات، ولديها القدرة على إيصال أصواتهنّ؛ وذلك بسبب انتمائها إلى المجموعة نفسها أو إلى مجموعة قريبة (على سبيل المثال: في حالة كون الباحثة فلسطينيّة علمانيّة والمشارِكات فلسطينيّات ذوات فكر إسلاميّ).

استنتاجًا ممّا سبق، يمكن للباحثة الفلسطينيّة أن تَسمع صوت مشاركاتها على نحوٍ أقلّ تأثُّرًا من الآراء المسبقة، مقارَنةً بالباحثة الغربيّة. في المقابل، وجود هذه الباحثة الفلسطينيّة في مؤسَّسة أكاديميّة إسرائيليّة أو غربيّة هو أمر لا يمكن تجاهله، وقد يؤثّر على علاقتها بمشارِكاتها وعلى الطريقة التي تنقل بها أصواتهنّ.

هذا البحث

يعتمد هذا المقال على المسار الذي مررت به في بحث أُجريه حول تغيير الهُويّة الدينيّة، واستخدام الشبكات الاجتماعيّة لدى النساء المسلمات في إسرائيل. وتبرز الحاجة الملحّة إلى عرض مكان هذه الشريحة من النساء كمشارِكات في الحقل البحثيّ. وعلى الرغم من وجود أبحاث تتناول أهمّيّة الحسّاسيّة الاجتماعيّة في البحث الأنثروبولوجيّ، وبخاصّة لدى الحديث عن مجموعات مستضعَفة -كالأقلّيّات والطبقات الاجتماعيّة الدنيا على سبيل المثال.

يتناول هذا المقال -في أساس ما يتناول- نظرة النساء المسلمات المتديّنات وآراءَهنّ في التمثيل البحثيّ، إضافةً إلى مواقفهنّ تجاه أدوارهنّ كمشارِكات في أبحاث تسلّط الضوء على هُويّتهنّ.

ينطلق هذا البحث من فرضيّة مُفادُها أنّ وجود باحثين يدرسون مواضيع بحثيّة تخصّ المجموعة المستضعَفة التي ينتمون إليها هم ومجموعةُ البحث يسهم في خلق واقع متعدّد الأصوات (Multi voiced reality)، أي واقعٍ يُعبَّر فيه وتُسْمَع أصوات متعدّدة لمجموعات مختلفة؛ فالباحث/ة في هذه الحالة يمثّل وسيطًا بين مجموعة البحث والمجتمع البحثيّ، وإن كان من هذه المجموعة فهو يمتلك القدرة على ترجمةِ ما يقوله ويفعله المشاركون في بحثه (لغةً واصطلاحًا) إلى اللغة الأكاديميّة المتداولة، وبذلك عكسِ صورة أكثر دقّة والوصول لفهم أفضل للمجموعة،[29] وهو في المقابل ما يصعب وجوده في حيّز بحثيّ يطبّقه باحثٌ ما خارج مجموعة البحث، وعلى أثره قد يجد صعوبة في التعامل بحسّاسيّة ثقافيّة معها، إضافةً إلى الصعوبة في اكتساب ثقتها كمجموعة تراه ممثّلًا لها في الحقل الأكاديميّ الغربيّ.

منهجيّة البحث

بغية فهم العلاقة المتبادلة بين الباحثة والمشاركة، أُعتُمِد في هذا المقال على ثلاثة مصادر أساسيّة للمعلومات. **المصدر الأوّل** هو الأحاديث الممهِّدة لمقابلات أُجرِيَتْ مع نساء مسلمات متديّنات في إسرائيل، فقد أجريت 18 مقابلة «قصّة حياة» مع نساء تتراوح أعمارهنّ بين الـ19 وَ الـ35، معظمهنّ أكاديميّات (15) أو مطّلعات على الحقل الأكاديميّ في مواضيع مختلفة، ومنهنّ مَن حصّلن دراسة ثانويّة أو أدنى من ذلك (3).

29. Salgado, Joao, & Clegg. Joshua W. (2011). Dialogism and the psyche: Bakhtin and contemporary psychology. **Culture & Psychology**, 17(4). Pp. 421-440.

جنّدتُ المشارِكات بطريقة «كرة الثلج»، حيث كانت المشارِكة الأولى على معرفة شخصيّة بي، وبعد انتهاء المقابلة سألتها عمّا إذا كانت تعرف نساءً يمكنهنّ أن يشاركن في البحث. تجدر هنا الإشارة أنّ سبب استخدام هذه الطريقة كان حسّاسيّةَ موضوع البحث المركزيّ، وأهمّيّةَ وجود الثقة لاكتساب معلومات عميقة وصريحة قدر الإمكان في المقابَلات.

قبل البدء بالمقابَلات، أجريت حِوارًا قصيرًا مع المشارِكة في البحث ابتغاءَ عرضه، كما أنّ المشارِكات تطرّقن إلى موقفهنّ من البحث خلال المقابَلات. على الرغم من عدم طرح أيّ سؤال حول رأي المشارِكات بالبحث قبل أو خلال إجراء المقابلات، اختارت بعضهنّ توضيح سبب استعدادهنّ للمشاركة وموقفهنّ تجاه البحث.

يجدر بالذكر هنا أنّه على الرغم من وجود مشْرِف غير عربيّ للبحث، كان التواصل المتعلّق بالبحث مع باحثة مسلِمة ترتدي الحجاب كمثل كلّ المشارِكات في البحث. كذلك كانت مجموعة من 16 امرأة مسلمة تواصلت معهنّ ابتغاءَ المشارَكة في البحث، أو كنّ هنّ مَن بادرن إلى التواصل معي بعد أن سمعن عن البحث من صديقاتهنّ، إلّا أنّهنّ اخترن عدم المشاركة في النهاية، وفي فصل النتائج سوف أتطرّق إلى الأسباب المركزيّة لهذا الرفض وعلاقتها بهُويّة المشارِكات والباحثة وكذلك المؤسَّسة الأكاديميّة التي يجري البحث تحت إطارها (الجامعة العبريّة في القدس).

أمّا **المصدر الثاني**، فهو أسئلة طُرِحت على المشارِكات بعد انتهاء المقابلات، بشأن استخدام الشبكات الاجتماعيّة، وهي:

* ما الذي دفعك إلى المشارَكة في البحث؟
* هل يمكنك إخباري عن تجربة المشارَكة في بحث يتحدّث عن هُويّتك؟
* هل تهمّك هُويّة الباحث/ة الذي /التي يُجري /تُجري البحث الذي شاركت فيه؟

لقد أوضحت للمشارِكات أنّ بإمكانهنّ رفض الإجابة عن الأسئلة، وأنّ هذه الأسئلة هي لغرضٍ بحثيٍّ بحْتٍ ولا تعني أيّ شيء في علاقتهنّ بالباحثة. اخترت تجنّب السؤال عن رأيهنّ، لتجنب الانحياز ولتجنب توجيه المشاركات في إجاباتهنّ عن الأسئلة.

وأمّا المصدر الأخير، فشمل مقابلات مع أربع باحثات فلسطينيّات أخريات، اثنتان منهنّ متديّنتان واثنتان غير متديّنتين، قابلن نساء يحملن فكرًا إسلاميًّا، وذلك في إطار بحث أكاديميّ يتبع لجامعات إسرائيليّة أو غربيّة، وقد سُئلن عن ردود فعل المشارِكات عند التوجُّه إليهنّ والدَّوْر الذي ينسبنه لأنفسهنّ في إطار الأكاديميا الإسرائيليّة، إلى جانب ملاحظات سجّلتها حول تجربتي الشخصيّة خلال البحث.

أعتمد -في أساس ما أعتمد- على منهجيّة بحث الحالة المتعدّدة (Collective case study) حسب الباحث سْتيك، إذ يتناول البحث بعض الحالات لفحص ظاهرة واستكشافها، ومن ثَمّ تُسقَط الظاهرة والنتائج من عدد محدود من الحالات على مجموعة أكبر.[30] أمّا سبب اختياري لهذه المنهجيّة، فيعود إلى اختيار المشارِكات في البحث لسببين: **أوّلهما** اعتبارات زمنيّة فرضت عليّ إجراء عدد قليل نسبيًّا من المقابَلات؛ **ثانيهما** قلّة الباحثات الفلسطينيّات اللواتي أجرين أبحاثًا حول النساء الفلسطينيّات المتديّنات في إسرائيل.[31] أمّا عيّنة

30. Stake, Robert E. (2005). Qualitative case studies. In Denzin, Norman K., & Lincoln, Yvonna S. (Eds.). **The Sage handbook of qualitative research** (pp. 443-466). California: Thousand Oaks: Sage.

31. For example:

- Daoud, Suheir Abu Oksa. (2016). Women and Islamism in Israel. **Frontiers: A Journal of Women Studies**, 37(3). Pp.21-46.
- Abdo, Nahla. (2011). **Women in Israel: Race, gender and citizenship**. Bloomsbury Publishing.
- Abu-Rabia-Queder, Sarab. (2018). Ibid.

البحث في هذه المرحلة، فقد تألّفت من باحثتين ترتديان الحجاب وباحثتين لا ترتديانه، مع الأخذ بعين الاعتبار إمكانيّة وجود فرق بينهنّ.

قمت بتحليل النصوص بطريقة التحليل النوعيّ النصّيّ، التي من خلالها نُقسّم المعلومات التي نجمعها ونصنّفها في خانات أساسيّة يمكن من خلالها الإجابة عن أسئلة البحث. تُركّز هذه الطريقة على الادّعاءات الأساسيّة التي تتكرّر في معظم المقابلات، وتسعى لترتيبها معًا حسب مواضيع مركزيّة.[32]

حلّلت المقابلات بالاستعانة ببرنامج التحليل النوعيّ «MaxQDA». بعد إجراء المقابلات وتسجيلها صوتيًّا فرّغت ما سجّلت وقرأتها قراءة أوّليّة، حيث اختيرت اقتباسات تتعلّق بموضوع البحث، ثمّ صنّفت هذه الاقتباسات في فئات أساسيّة.

استشفاف

قبل عرض تحليل الموادّ البحثيّة، سأعرض تجربتي الشخصيّة في البحث، التي سأَفْصلها عن أقوال الباحثات اللاتي قابلتهنّ، لأنّها تعبّر عن تجربة شخصيّة.

عند استخدام منهجيّة البحث كالمقابَلات المعمَّقة أو المشاهَدة، والتي تمتاز بتواصل مباشر مع مجموعة البحث، لا يمكن تجاهل التأثير الحاصل على الباحثة ومجرى البحث. وفي هذه الحالة، فإنّ البحث قد بدأ بهدف الحصول على شهادة الدكتوراة، إلّا أنّه تطوّر إلى رحلة نضوج أكاديميّة وشخصيّة. لدى اختياري لموضوع البحث المركزيّ، كان الدافع الشخصيّ عنصرًا مركزيًّا في طرح العناوين وشريحة البحث. ففضلًا عن رأيي الشخصيّ بظاهرة تقرّب النساء المسلمات إلى الدين بأشكال ودرجات مختلفة، أنا كذلك أرتدي الحجاب الذي يعكس درجةً ما من التديُّن، وهو ما يجعلني قريبة من هذه المجموعة (ظاهريًّا على الأقلّ)، وزِدْ على ذلك الفترةَ التي قضيتها بدراسة الأدبيّات حول الهُويّة الدينيّة للنساء المسلمات، واستخدام وسائل التواصل الاجتماعيّ؛ لم أجد إلّا قلّة قليلة من الأبحاث التي يتحدّث الباحث فيها مع هذه الشريحة، بل هو يتحدّث عنها،[33] وذلك من خلال استخدام منهجيّات تخدم هذه الفكرة -كتحليل منشوراتهنّ في الشبكات الاجتماعيّة على سبيل المثال- جعلتني أرى مشكلة في أخلاقيّات البحث؛ إذ إنّ قسمًا كبيرًا من السلوكيّات الاجتماعيّة التي تُجرى في الشبكات الاجتماعيّة لا تظهر في هذه المنشورات، بل نكاد لا نجد طريقة أفضل لفهم استخدام هذه الشبكات كسؤال مستخدِميها عن الأفعال التي تجرى «خلف الكواليس» كقطع العلاقات وإرسال الرسائل الخاصّة.

وقع اختياري على إجراء المقابلات مع نساء فلسطينيّات مسلمات متديّنات لأنّ هُويّتي (القوميّة كفلسطينيّة، والدينيّة كمسلمة ترتدي الحجاب) تمكّنني من الوصول إلى مناطق بحثيّة لا يصل إليها الباحثون الغربيّون في المعتاد. أمّا اختياري لمنهجيّة البحث، وهي مقابَلات قصّة الحياة، فكان نابعًا من اعتقادي أنّ المشارِكات سوف يشعرن بالأمان والثقة تجاهي، إلّا أنّ الأمر كان في الحقيقة أكثر

32. Denzin, Norman K. (1978). **The research act: A theoretical orientation to sociological methods**. Rotleldge.

33. على سبيل المثال:

- Daoud, Suheir Abu Oksa. (2016). Ibid.

- Baulch, Emma, & Pramiyanti, Alila. (2018). Hijabers on Instagram: Using visual social media to construct the ideal Muslim woman. **Social Media+ Society**, 4(4). Pp. 1–15.

- Gray, Tamara. (2018). **Teaching from the tent: Muslim women's leadership in digital religion** [Doctoral dissertation, University of St. Thomas, Minnesota].

تعقيدًا؛ فقد بدأت خلال عام ونصف تقريبًا بالبحث حول نساء مسلمات متديّنات على أمل بناء علاقة ثقة، وبالأخصّ مع أوّل المشارِكات.

في معظم المقابلات التي أجريتها قبل هذا البحث، لم يكن لديّ أيّة علاقة مع المشارِكات قبل إجراء البحث أو بعده؛ أي إنّ المقابلات كانت مجرّد وسيلة لتجنيد المعلومات، إضافةً إلى الحفاظ على الاحترام المتبادل مع المشارِكات. في هذه المقابلات، وجدت اختلافَيْن مركزيَّيْن: **أوّلهما** الأحاديث الطويلة نسبيًّا التي كانت بيني وبين المشارِكات قبل المقابَلات وبعدها، والتي بمعظمها لا تتطرّق إلى البحث، بل إلى أمور اعتياديّة كطلب نصائح حياتيّة أو جامعيّة.

أمّا الاختلاف **الثاني**، فكان مدى التأثُّر الشخصيّ ببعض القصص التي كانت المشارِكات يروينها، ففي مرحلة كتابة المقابَلات واجهتني عدّة تحدّيات في إنهاء كتابة المقابَلة؛ إذ كان قسم منها يتضمّن تفاصيل ذات تأثير شخصيّ عليّ كانت تدعوني إلى التوقّف عن كتابة المقابَلة والعودة إليها لاحقًا.

لذا، أجد هذا المقال فرصة مناسبة لأعترف أنّ إجراء هذا البحث جعلني أعيد التفكير في عدّة مفاهيم كنت قد اتّبعتها في حياتي الشخصيّة، فاخترت مثلًا عدم الإدلاء بأيّ تصريحات ذات فحوى دينيّة للحفاظ على صورة محايدة قدر الإمكان لي كباحثة، كما أنّني مررت هنا بتجربة قد لا أتمكّن من خوضها في محافل أخرى تعلّمت عبْرها كيف يمكن النظر بعمق أكبر إلى تصريحات المشارِكات واحترام وجود طبقات من التغيير في داخل كلّ شخص نلتقيه. كان عليّ في طور تحليل المقابَلات أن أقرأها عدّة مرّات خلال وجهات نظر مختلفة أتبنّاها. قد يكون هذا هو مَكْمن الجَمال في البحث النوعيّ الاجتماعيّ، إذ في الإمكان رؤية الشخص على تناقضاته في بضع جمل، وتجد أنّك يجب أن تتعامل مع كلّ هذه التناقضات وتستوعبها للوصول إلى تحليل جيّد وللرواية الكاملة التي هي أصلًا ليست أحاديّة وليست دائمًا متماسكة.

وعن اختيار موضوع البحث، لا بدّ من ذكر حقيقة أنّ لموجِّهي دورًا في اختيار موضوع البحث، إذ بدأ بحديث عاديّ عن تجربتي مع صديقة اختارت التقرُّب من الدين والتحدّث عن طريقتها في إدارة العلاقات الاجتماعيّة آنذاك. على الرغم من أنّني لم أرَ في هذا ظاهرة يمكن بناء أطروحة كاملة منها، كان لنظرته الخارجيّة دَوْر مهمّ في فهم الحجم الحقيقيّ للظاهرة وإمكانيّة اختبارها.

النتائج

الرفض والشكّ

من بين النساء اللواتي تواصلت معهنّ للمشاركة في البحث، كانت هناك مجموعة من 16 امرأة طلبن معرفة المزيد من المعلومات عن البحث، ابتغاءَ المشاركة فيه. أخصّ بالحديث هنا هذه المجموعة لأنّها برّرت رفضها في المشاركة بأسباب تقنية ودينيّة لا بأسباب شخصيّة فرديّة؛ حيث علّلن تراجعهنّ عن المشاركة بضيق الوقت أو برفض الزوج مشاركتهنّ في البحث والتزامهن بهذا الرفض لأسباب دينيّة.

بالتالي يمكننا أن نَعْزو ما حالَ بين النساء ومشاركتهنّ في البحث إلى سببَيْن أساسيَّيْن: **أوّلهما** رفض المشاركة في بحث يُجرى في جامعة إسرائيليّة؛ **ثانيهما** وجود مخاوف من الرقابة السياسيّة في الإمكان ملاحظته في أبحاث سابقة تُظهِر أنّ الفلسطينيّين في إسرائيل يعيشون تحت شعور رقابة معيّنة من قِبل أجهزة الدولة.[34] تجدر الإشارة إلى أنّ بعض النساء اللواتي شاركن في البحث قد طلبن قبل الموافقة على المشارَكة فحْصَ ملفّ الباحثة في موقع الجامعة، إضافةً إلى أبحاث المشرف السابقة وآرائه السياسيّة.

34. Sabbagh-Khoury, Areej. (2010). Ibid.

فعلى سبيل المثال، خلال عمليّة تجنيد مشارِكات للبحث، طلبت من إحدى المشارِكات إخبار مجموعة من صديقاتها بشأن البحث وإمكانيّة المشاركة فيه، إلّا أنّها أرسلت إليّ الرسالة التالية في 2019/4/25: «السلام عليكم عزيزتي، الصبايا طلبوا رابط لاسمك في موقع الجامعة أو إشي اللي يثبت إنّ البحث عم ينكتب بالجامعة». بعد إرسال التصديق الجامعيّ المرجوّ، قرّرت المجموعة بجميع أفرادها عدم المشاركة في البحث: «لأنّه بيخافوا من الإشي الأمني إنّه يستخدموا المعلومات ضدّهن من ناحية سياسيّة». تكرّر هذا القلق من المشارَكة في بحث يجري في الأكاديميا الإسرائيليّة عندما تراجعت فتاتان توجّهت إليهما عن المشاركة حين اتّضح أنّ البحث يجري في الجامعة العبريّة في القدس لا في أكاديميّة في شرقيّ القدس. هذه دلالة على وجود شعور بالشكّ لدى المشارِكات في أبحاث تُجرى في الأكاديميا الإسرائيليّة، إضافةً إلى عدم الأمان المعلوماتيّ في هذه البيئة البحثيّة.

تعود هذه الجزئيّة لتثار كذلك في المقابلة مع الباحثة عرين هوّاري،[35] التي تدور معظم رسالتها لنَيْل الدكتوراة حول نساء إسلاميّات فلسطينيّات في إسرائيل ونشاطهنّ، بعضهنّ من نساء الحركة الإسلاميّة.[36] فقد ظهرت الصعوبة في تجنيد مشارِكات للبحث لسبب مختلف، إذ عند سؤالها عمّا إذا كانت قد واجهت مشكلات في تجنيد مشاركات للبحث أجابت:

> ردود الفعل مكانتش صعبة. كلّهن وافقوا يشاركوا. عندي أنا كان إنّه بعرفش ولا وحدة، يعني اكتشفت قدّيه أنا بعرفش وقدّيه إحنا النسويّات بنعرفش إسلاميّات والعكس صحيح. يعني كنت أحكي مع صاحباتي: بتعرفوا نساء من الحركة الإسلاميّة؟ يجاوبوني: لا، شو بيعرّفنا؟! إحنا بنشوفهن هذول ببيوت الأجر، بيجوا يحكوا عن عذاب القبور وبعرفش إيش. هيك كانوا يجاوبوني، بتعرفي بنعرفش بعض بالمرّة. فتوجّهت للرجال طبعًا، أخذت أسماء نساء ثنتين من رجال. وهيك من وحدة لوحدة.

تبدو الصعوبة التي واجهت الباحثةَ عرين مختلفةً عن نوع الصعوبات التي واجهتها أنا، لكنّها أيضًا على ارتباط مباشر بموقعيّة الباحثة داخل حقل البحث؛ فصعوبتها نابعة بالأساس من وجودها في إطار فكريّ مختلف عن المشارِكات في البحث. وينبغي أن نشير أنّ ثمّة فرقًا في عيّنة البحث بين بحثي الشخصيّ وذاك الذي أَجْرَتْه عرين؛ فبينما عيّنة بحثي كانت مكوَّنة من نساء غير محزَّبات وصغيرات في السنّ نسبيًّا، كانت عيّنة البحث الذي أَجْرَتْه عرين هي نساء ناشطات سياسيًّا واجتماعيًّا أكبر سنًّا، وهو ما قد يفسّر الفرق في الاستعداد للمشارَكة. ويعزِّز هذا الاعتقادَ ما تقوله عرين: «بفكّر هنّ كانوا معجبات ومبسوطات بإيش بيعملوا، وبيهمّهن [المشاركة في البحث]».

وكان الأمر مشابهًا في تجربة الباحثة سهير أبو عقصة-داود، التي تَمَرْكَزَ بحثها في النشاط السياسيّ للنساء الإسلاميّات:[37] «هؤلاء النساء، على وجه العموم، فاعلات جدًّا في السياسة أو في جمعيّات من مجالات أخرى، ولذا أعتقد أنّهنّ معتادات على أن تُجرى المقابَلات معهنّ».

مقابل تجربتنا أنا وعرين، التي انطوت على نوعٍ من الشكّ والرفض أحيانًا، تبدو تجربة دانية حجازي[38] وناهد أشقر شراري[39] مختلفة؛ ففي بحثَيْهما كانت الباحثتان محجّبتين، وكانت مجموعة البحث تشمل نساء

35. أُجريَت جميع المقابلات مع الباحثات خلال شهر يناير 2020.

36. هوّاري، عرين. (2019). **ناشطات إسلاميّات فلسطينيّات: نظرة جندريّة** [رسالة دكتوراة، جامعة بن چوريون، بئر السبع]. [بالعبريّة]

37. Daoud, Suheir Abu Oksa. (2016). Ibid.

38. حجازي، دانية. (2018). **مدى وكيفيّة تأثير الجمعيّات النسويّة في المجتمع العربيّ في إسرائيل على مكانة النساء العربيّات في إسرائيل** [رسالة ماجستير، جامعة حيفا]. [بالعبريّة]

39. أشقر شراري، ناهد. (2017). **تحدّيات النسويّة الإسلاميّة لدى النساء الناشطات في إسرائيل** [رسالة دكتوراة، جامعة بن چوريون، بئر السبع]. [بالعبريّة]

ناشطات اجتماعيًّا ودينيًّا وسياسيًّا. كلّ من الباحثتين وصفت تجربتها بأنّها تجربة أسهل في تجنيد المشارِكات ومصحوبة بشعور أقلّ بالشكّ. فعلى سبيل المثال، تقول ناهد التي أجرت بحثها حول جمعيّة «نساء وآفاق» النسوية الإسلاميّة:

> أنا عملت عن النساء في «نساء وآفاق». الفعّالات في «نساء وآفاق» بيجنّنوا، يعني كثير راقيات، كثير منفتحات، كثير فهمانات، فهنّ تجاوبوا معي بشكل كثير كثير حلو، بالرغم من إنّه كان في صعوبات كثير كبيرة من جهتهن لأنّه مكانوش مقبولات بالمجتمع، كانوا يقولولهن مثلًا شو هذا الشغل؟! بتحاربوا بالقرآن؟! بس هنّ كانوا رائعات رغم ذلك وأعطوني المعلومات بشكل مهني... يعني كان حلو معهن.

نستشفّ التقارب الفكريّ بين ناهد ومجموعة البحث من خلال إجابتها، وكذلك وصف تجربة البحث كتجربة شخصيّة؛ فهي تكرّر انطباعها الشخصيّ عن النساء دون المعلومات التي قدّموها، كوصفها لهنّ بالرائعات والراقيات، ونلاحظ كذلك أنّها تتحدّث عن تجربة الحديث معهنّ أكثر من تجربة تجنيدها لهنّ كمشارِكات للبحث. قد تكون إيجابيّة هذه التجربة نابعة من كون ناهد قريبة من مجموعة الهدف، وذلك على العكس من عرين التي واجهت صعوبة في تجنيد مشارِكات إضافةً إلى مواجهتها لنظرة مختلفة عن أفكارها لدى المشارِكات.

المسؤوليّة نحو المجموعة

خلال المقابلات مع الباحثات الأربع، برز الشعور بالمسؤوليّة تجاه مجموعة البحث واحدًا من الدوافع الأساسيّة لإجراء البحث. فعلى سبيل المثال، تقول عرين بشأن سبب اختيارها للنساء الإسلاميّات كمجموعة بحث: «أنا فلسطينيّة وناشطة، بيهمّني الشأن الفلسطينيّ، وأنا نسويّة، ففكّرت إنّه أبحث النشاط النسائي».

تلك دلالة على أنّ اختيار عرين لموضوع بحثها كان مرتبطًا ارتباطًا مباشرًا بهُويّتها واهتماماتها، وتَعْرضه كأمر مفهوم ضمنًا، على الرغم من أنّ بداية تفكيرها في البحث كان حول التوجّه لمجموعة فكريّة تتطابق مع فكرها:

> أنا كنت بدّي أفحص العلمانيّات كيف بتعاملوا مع موضوع الدين، لأنّي كنسويّة كنت نقديّة تجاه تعامُلنا مع النساء المتديّنات وتجاه الدين، كان في إصدار أحكام واضحة، «مكنّاش بحاجة نعرف»، كأنّه عنّا كلّ الأجوبة واضحة إنّه المتديّنات بتعرفي «مش نسويّات ومش تقدُّميّات»، فكنت بدّي أبحث ليش هيك الراس العلمانيّ بيفكّر. فكّرت أيضًا أبحث الرجال الإسلاميّين، ليش هيك بيحكوا عن النسويّات، ضدّ الفمينيزم، وليش هالقدّ بشدّدوا عالحجاب، فهيك راسي كان، نقدي عالإسلاميّين والنسويّات. بأوّل جلسة مع المشرفة قالت لي بدل ما تبلّشي بهدول وهدول ابحثي النساء المتديّنات نفسهن، اسمعي شو هنّ بقولوا بدل ما تبحثي شو بقولوا عنهن، فقلت فعلًا بدّي أصل لأصواتهن.

كان للمشرفة على البحث دَوْر في اختيار مجموعة البحث، فقد كانت عرين تفكّر في إجراء المقابلات مع مجموعة أقرب إليها فكريًّا، وقد يكون هذا التفكير تفكيرًا طبيعيًّا لمعرفة الباحثة بمجموعة البحث وسهولة التوصُّل إليها.

كذلك هو الشأن في حالة سهير أبو عقصة-داود، التي بدأت مسيرتها البحثيّة ببحث النساء الفلسطينيّات في السياسة وتركّزت في السنوات الأخيرة في النساء الإسلاميّات؛ كان الدافع الأساسيّ قوميًّا:

> اكتشفت خلال تحضيري الرسالة ولاحقًا أنّ البحث الإسرائيليّ تجاهل الفلسطينيّين في إسرائيل بصورة عامّة، وأنّ الباحث الفلسطينيّ تجاهل المرأة الفلسطينيّة وإسهاماتها في الداخل في النضال بعد النكبة، والتحدّيات التي تتعرّض لها. وفي ذات الوقت، انحصرت عدّة جمعيّات نسائيّة وباحثات في النظريّات

النسويّة وتجاهل[نّ] العوامل السياسيّة والصراع القوميّ وغيرها، وكان هذا التركيز في جميع كتاباتي تقديم بحث شموليّ عن وضع المرأة الفلسطينيّة ومنذ سبعة أعوام وأنا أتركّز أكثر في الإسلام السياسيّ ودَوْر المرأة في الحركات الإسلاميّة.

وتَعزو سهير التقصيرَ البحثيّ في شأن دور النساء إلى عدّة جهات؛ فقد وجدت أنّ الصورة التي تُنقل في المجتمع البحثيّ حول المرأة الفلسطينيّة غير شاملة وحقيقيّة، وهو ما دفعها إلى تقديم صورة أوسع وأكثر تركيبًا حول الظواهر التي تبحثها. وتظهر هذه الرغبة لدى سهير في عكس صورة شاملة عند اختيارها بحث حالة النساء الإسلاميّات:

بدأت الرغبة في موضوع الإسلام السياسيّ مع انطلاق الانتفاضة الفلسطينيّة الأولى عام 1987، وكانت هذه السنة الجامعيّة الأولى لي في الجامعة العبريّة. حركة «حماس» في البداية ركّزت على النضال الوطنيّ والمقاومة أكثر ممّا ركّزت على الخطاب الدينيّ الذي أخذ يطغى في ما بعد. كان التفاعل بين الوطنيّ والقوميّ والاجتماعيّ والدينيّ مثيرًا، وكان بحث الدكتوراة حول إسهام النساء من حركات وأحزاب مختلفة. من ذلك دَوْر المرأة في الحركة الإسلاميّة التي فاجأت الأحزاب الأخرى بتجنيد النساء للعمل الاجتماعيّ والسياسيّ ودفع بآلاف النساء خارج المنزل لأوّل مرّة في حياتهنّ. كانت هذه ظاهرة لافتة تستحقّ البحث [...] تركيزي بدأ على نحوٍ أكبر على دَوْر المرأة تحديدًا منذ عدّة سنوات، حين تواصلت معي باحثات عربيّات يقمن بإعداد كتاب حول المرأة العربيّة والإسلام السياسيّ في عدّة دول عربيّة، وجرى اختياري لبحث هذا الموضوع في الداخل. في رأيي، كلّ بحث يغفل صوت المرأة بشكل عامّ هو بحث ناقص، وكلّ بحث يتّكئ على نظريّات غربيّة فقط لا يقدّم بحثًا جِدّيًّا حول خصوصيّة وضع المرأة الفلسطينيّة في إسرائيل والتي هي جزء لا يتجزّأ من القضيّة القوميّة والسياسيّة.

كما هو الحال لدى هوّاري، بدأ اهتمام أبو عقصة-داود بالنساء الإسلاميّات لأسباب تتعلّق ببيئتها الخاصّة، فضلًا عن إيمانها بأهمّيّة وجود تمثيل لائق للنساء في المحافل البحثيّة. هذه الدوافع الشخصيّة تظهر أيضًا لدى الباحثات المحجَّبات. على سبيل المثال، تقول ناهد:

لمّا تديّنت، فيه قواعد معيّنة، قوانين بالدين، ما ركبت على عقلي وكيف ربيت، فصرت أدوّر [أبحث] وين بالدين بقدر أكون متديّنة وكمان عندي الحرّيّة. دوّرت على حرّيّة المرأة بالدين وبدأت أقرا موادّ ولقيت إنّه «نساء وآفاق» بيلائموا مبادئي [...] الإشي صار تقريبًا بالصدفة، وطلع إنّي بعمل بحث على شي أنا بحبّه.

تبيِّن إجابة شراري أنّ بحثها بدأ لحاجة شخصيّة في اكتساب معلومات دينيّة أوصلتها هي إلى مجموعة من الناشطات اللواتي تحوَّلن في ما بعد إلى مجموعة بحثها. وتركّز كذلك ناهد على شعورها بالمسؤوليّة تجاه هذه المجموعة، إذ تقول في هذا الصدد: «مَفِشّ عنّا باحثات اللي هنّ متديّنات، وفِشّ عنّا باحثات اللي تقدّم الفكر الدينيّ؛ يعني مش من منطلق نقدي علماني للدين. من منطلق نقدي ديني. بحسّ هذا هو تميُّزي».

تعرض ناهد هُويّتها الدينيّة على أنّها مميِّز يجعلها قادرة على خلق توازن بحثيّ في حقل ترى أنّ معظم الباحثات فيه ينظرن إلى الدين بعينَيْن علمانيّتَيْن وناقدتَيْن.

الباحثة كوسيط /واحدة منّا

من خلال تحليل حديث المشارِكات والباحثات، ظهر توقُّع المشارِكات جليًّا بوجود رابط بين هُويّة الباحثة والرسالة التي ستمرّ من خلالها إلى الأكاديميا، إذ ترى المشارِكاتُ الباحثةَ وسيطًا يحمل رسالة ويسعى لإيصالها للأكاديميا بما يخدم هُويّتها.

ويمكن كذلك ملاحظة أهمّيّة منح المشارِكات المنصّة التي تتيح إيصال أصواتهنّ بصرف النظر عن هُويّاتهنّ إنّما من منطلق احترام حقّهنّ في التعبير عن ذاتها، الأمر الذي قد لا يبدو مفهومًا ضمنًا، وهذا يظهر في قول المشارِكة هدى (23):[40] «اللقاء (أو المقابلة) كان ممتع، مش سهل ولا اعتيادي إنّه حدا يعطيك منصّة تحكي فيها عن ذاتك ومبادئك. كانت تجربة حلوة إنّه الواحد يكون صادق مع نفسه».

اللافت للنظر كان أنّ المشارِكات الستّ اللواتي تحدّثن عن سبب مشاركتهنّ بشكل طوعيّ ذكرن هُويّة الباحثة وهُويّتهنّ الدينيّة على أنّه أمر ذو أهمّيّة في قرار مشاركتهنّ، لكن إجابات المشارِكات اللواتي سُئلنَ على نحوٍ مباشر عن دافع مشاركتهنّ في البحث كانت إجابات متباينة، ولم تتطرّق جميعها إلى هُويّة الباحثة أو هُويّة المشارِكات.

مثالًا على ذلك نَسوق إجابة المشارِكة آيات عن السؤال الأوّل بشأن دافع المشارَكة في البحث، ألا وهو رغبتها في دعم الباحثين (26): «شاركت لأنّه كثير بنبسط بإنجازات صبايا وشباب عرب، وإذا في إشي بَقْدر أساعدهن فيه ليتقدّموا مش رح أقصّر». بالنسبة لآيات، كانت هُويّةُ الباحثةِ القوميّةُ دافعًا للمشارَكة، ولم تَذكر الهُويّة الدينيّة أو الجندريّة، بينما تذكر المشارِكة هدى (23) الدافع الدينيّ وراء المساعدة في إنجاز البحث:

> اللي دفعني للمشاركة إنّي حسّيت الموضوع شيّق ونتائجه رح تكون رائعة إن شاء الله. إضافة إلى ذلك إنّي بحبّ أساعد الطلّاب الجامعيّين باللي بَقْدر أساعد فيه لأنّي بعرف صعوبة إنّك تلاقي ناس تتعاون معك بمثل هيك أُطُر، عملًا بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام: من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّرَ على معسّر، يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة.

في المقابل، لا يظهر عامل الهُويّة في إجابة المشارِكة وفاء (30): «أحببت أن أساعد طالبة جامعيّة وأسهّل عليها عمليّة البحث عن مشاركين بالأخصّ بعد أن مررت بتجربة مشابِهة وعشت الصعوبات». في هذه الإجابة، يَظهر أنّ الدافع هو مساعدة الطالبة في إتمام مهامّها الدراسيّة، وقد يكون السبب من وراء تكرار هذا الدافع أنّ الباحثة طالبة أكاديميّة لم تنهِ دراستها بعد للحصول على الدرجة الجامعيّة.

لكن عند تطرُّق المشارِكات إلى موضوع البحث، يظهر عامل الهُويّة أكثر. فعلى سبيل المثال، تقول وفاء:

> أهمّيّة هُويّة الباحث تحدَّد نسبة لموضوع البحث. وموضوع بحثك حسّاس. وبالنسبة لي، كان من المهمّ لي أن يكون الباحث إنسانًا مسلمًا، وامرأة على وجه الخصوص؛ حيث إنّني أجد في هذا بالغ الأهمّيّة لغرض نقل الصورة بموضوعيّة وبدون آراء مسبقة مضلّلة، وهذا لن يحدث لمن ليس مطّلعًا على ثقافتنا وديننا؛ وذلك أنّه لن يفهم عمق بعض الأحداث وأهمّيّتها.[41]

في هذه الإجابة، نرى مصطلح «الصوت» الذي تحدّثنا عنه في الفصل النظريّ؛ فبالنسبة لوفاء تَشارُكُها مع الباحثة في الدين والجنس قد يجعل الباحثة مؤهَّلة لنقل صوتها أكاديميًّا.

يتوافق هذا الأمر مع حديث الباحثة دانية حجازي، التي أَجْرت بحثًا حول النساء القياديّات الفلسطينيّات في إسرائيل، حيث تتطرّق إلى الحديث التمهيديّ مع النساء ذوات الفكر الإسلاميّ فتقول: «في منهن شدّتهن للمشاركة إنّه إنت عم تعملي بحث وإحنا عارفين إنّك متديّنة ورح تدحضي الفكرة السائدة إنّه الجمعيّات النسويّة إلْهن تأثير كبير جدًّا على النساء».

فكون دانية ذات هُويّة دينيّة تُشابِه هُويّة بعض المشارِكات جعلها تكون محطّ ثقة بأنّها ستوصل أصواتهنّ

40. أجريت جميع المقابلات مع المشارِكات خلال النصف الأوّل من عام 2019، وكانت جميعها وجاهيّة.

41. اختارت بعض المشارِكات الإجابة بالعربيّة الفصحى لا بالعامّيّة، وقد أوردتُ هنا إجابتهنّ باللهجة التي اخترنها للحفاظ على النصّ الأصل.

على نحوٍ مباشر ودونما تغيير، بل سيكون ثمّة استخدام للأَجِنْدة ذاتها التي يؤمنّ بها؛ ممّا دعاهنّ إلى المشارَكة. نجد الأمر ذاته لدى ناهد، إذ تقول بشأن استعداد المجموعة للمشارَكة في البحث: «بالعكس ما كان في صعوبات. كانوا كثير رائعات وفهمانات وعلّقوا عليّ آمال، دعوني أشارك بندوات وأيّام دراسيّة».

كذلك في هذه الحالة تأتي الباحثة مع خلفيّة فكريّة مشابهة لمشارِكاتها، وهو ما يكون له دَوْر مباشر أو غير مباشر في حماستهنّ للمشارَكة في بحثها.

في المقابل تطرّقت الباحثة عرين هوّاري إلى القضيّة نفسها بقولها:

> حسّيت إنّه استعدادهن يكونوا نقديّات على الحركة [الإسلاميّة]، أقلّ، يمكن، يمكن لأنّي أنا مش من نفس المجموعة، يعني العلمانيّات اللي قابلتهن كانوا نقديّات على أحزابهن أكثر قدّامي من الإسلاميّات؛ لأنّه أنا يعني كأنّه معدودة عليهن فبياخذوا راحتهن أكثر.

نلاحظ في إجابة عرين أنّها تبقي مجالًا للظنّ أنّ هذا الموقف من المشارِكات قد يكون انطباعًا لديها وليس فعلًا ما قصدته المشارِكات، وهو ما يدلّ على وعي الباحثة للمسؤوليّة الملقاة عليها لإيصال صوت المشارِكات على نحوٍ أصليّ قَدْر الإمكان. مقارنةً مع دانية ووفاء فإنّهما تؤكّدان بأنّ عامل الهُويّة الدينيّة للباحثة يسهم في بناء الثقة لدى المشارِكات، وكذلك ما تذكره عرين في سياق آخر في المقابلة:

> بتذكّر وحدة من المشارِكات بعد ما سألتها إذا بتحبّ تضيف شي قالت لي إشي بما معناه إنّه مش مثل ما إنتو بتفكّروا، إنّه شو عرّفك شو إحنا عم بنفكّر؟ يمكن كان عندها توقُّع إنّي بفكّر بشكل مختلف لأنّه مَنْظري مختلف أو انتمائي مختلف.

وكذلك المشارِكة جميلة (21) تقول: «بهمّني تكون وحدة مش واحد، وتكون واعية وفاهمة الدين والدنيا؛ عشان أعرف أتفاهم معها بَس».

في إجابتَيْ جميلة وآيات، في الإمكان ملاحظة أهمّيّة لوجود لغة مشترَكة بين المشارِكة والباحثة لكي تتمكّن من فهم أقوالهنّ فهمًا أعمق وأكثر دقّة.

المشارِكة كسفيرة لمجموعتها

على الرغم من أنّ حديث المشارِكات المركزيّ تطرّق إلى الباحثة على أنّها الجانب الأكثر تأثيرًا على مجريات ونتائج البحث، نظرت مجموعة من المشارِكات إلى المشارَكة في المقابلات كطريقة لإيصال رسائلهنّ وأصواتهنّ إلى الوسط الأكاديميّ الذي -في عين البعض منهنّ- لا يَفيهنّ حقّهنّ في التعبير عن أنفسهنّ ويتولّى وصاية عليهنّ دون إعطاء وزن لرأيهنّ. كما ذكرت سابقًا، خلال تجنيد مشارِكات للبحث لفت انتباهي مبادرةُ وتطوُّعُ بعض منهنّ (6) في إظهار الأسباب التي دفعتهنّ إلى المشارَكة أو رفض المشارَكة في البحث وتوقُّعاتهنّ في ما يخصّ إجراء بحث حول هُويّتهنّ الدينيّة من قِبل باحثة فلسطينيّة مسلمة. فقُبَيْل بدء المقابلة وبعد عرض البحث وأسئلته، قالت المشارِكة منال (22 عامًا، خرّيجة كلّيّة): «بالعكس بيهمّني كثير المشاركة. مهمّ صوتنا يوصل ويعرفوا [الباحثون] أنا مش مثل ما بيفكّروا؛ مش ضروري إذا تديّنت يعني صرت أكره الكلّ وبدّي كلّ الناس تموت. هم بيجوا ومعهم استنتاجات جاهزة».

نجد في إجابتها أنّها تتّخذ موقفًا من صورة الهُويّة الدينيّة للنساء المسلمات في الأبحاث الأكاديميّة، وترى في المشارَكة في البحث وسيلةً لصناعة تغيير في الحقل البحثيّ. كذلك نجد هنا انتقادًا أخلاقيًّا لطُرق البحث المتّبَعة، بادّعاء أنّ الباحثين يصلون إلى الحقل مع استنتاجات جاهزة مسبقًا وصور نمطيّة ويحاولون إثباتها.

كذلك تتحدّث دانية عن حماسة المشارِكات لمعرفة النتائج التي سيتوصّل إليها البحث، إضافةً إلى اهتمامهنّ -بوصفهنّ ذوات فكر إسلاميّ- بجزء من المعلومات التي تُجْمَع في البحث، فتتحدّث دانية عن سؤال بعض المشارِكات الإسلاميّات «شو العلمانيّات كانوا يحكوا، أو شو قالوا عنّا، كان هذا الإشي يهمّهن». هذا الاهتمام بأقوال سائر المشارِكات قد يؤثّر على الإجابات خلال المقابلة، ويدلّ كذلك على الوزن الذي تنسبه المشارِكات لكلّ من إجاباتهنّ وإجابات غيرهنّ.

على سبيل المثال، تجيب جميلة عن السؤال بشأن الدافع من وراء مشاركتها في البحث قائلةً:

> تشجّعت أشارك بالبحث لأنّي حابّة أوصّل للناس إنّه الدين ما بعيق أيّ إشي بالحياة. صَحّ ما عملت هالإشي بحياتي، بَس ولا مرّة كان الدين عائق. وحبّيت أوصّل إنّه الدين عالجني وصلّحني بكتير فترات، وعملني إنسانة ثانية، وهمّي الوحيد إنّي أتقدّم بالدين.

كذلك تقول المشاركة منال:

> اللي دفعني أشارك في البحث هو عنوان وموضوع البحث. كثير لفت انتباهي وشدّني إنّي أشارك فيه بحيث إنّه هو بيحكي عن هويّتي كفتاة عربيّة، بالأقلّيّة العربيّة بهاي الدولة وكمسلمة، ونادرًا ما إحنا بنلاقي هيك بحوثات اللي هي بتخصّنا وبتخصّ قضايانا ومواضيعنا أو هويّتنا، فكثير حبّيت إنّه يكون إلي دُور أو بصمة فيه ولو صغيرة.

في كلتا الإجابتين، تشدّد المشارِكتان على أنّ غايتهما من المشارَكة في البحث هي التأثير على نتيجته، وإيصال صوتَيْهِما بوصفهما ممثّلتَيْن عن مجموعة البحث -الصوتَيْن المعبّرَيْن عن الأصواتِ التي يعتبرونها مفقودة في الحقل البحثيّ.

استنتاجات ونقاش

تعرض هذه الورقة تجربة البحث الاجتماعيّ النوعيّ، حين يكون /تكون الباحث/ة فردًا من مجموعة البحث؛ وأقصد على نحوٍ خاصّ حين تكون الباحثة امرأة فلسطينيّة وتبحث في قضايا تهمّ نساء مسلمات متديّنات فلسطينيّات. وتتطرّق إلى وجهتَيْ نظر: جانب الباحثة وجانب المشارِكة. يُظهِر البحث أنّ طرفَي البحث يتطرّقان إلى هُويّتهما على أنّها عامل أساسيّ في اتّخاذ قرار المشارَكة في البحث، وكذلك يُظهِر هُويّة الباحثة عاملًا مركزيًّا في منحها الثقة، والتعويل عليها لتظهِر المجموعة بصورة إيجابيّة. كذلك يبرز تباعًا عامل «الصوت» الذي تحاول المشارِكات إيصاله عن طريق الباحثات، والذي ترى الباحثات فيه أحد أهدافهنّ.

نرى في النتائج مَهَمّة مضاعَفة للمشارِكات في إيصال أصواتهنّ: **الأوّل** إيصال أصواتهنّ بوضوح إلى الباحثة، وإن كانت من المجموعة الإثنيّة نفسها، كما نرى أنّ هنالك تشكيكًا لدى بعض المشارِكات في أهداف البحث وقدرة الباحثة على فهمهنّ. **الثاني** إيصال هذا الصوت إلى الوسط الأكاديميّ الذي تقف الباحثة وسيطًا بينه وبين المشارِكات، إذ نجد أنّهنّ يعبّرن عن ثقتهنّ في الباحثة حين تكون من نفس مجموعتهنّ، بأنّها بلا ريب ستوصل هذا الصوت على نحوٍ دقيق مقارَنةً بأيّ جهة سواها. ترسم لنا أقوال المشارِكات علاقة ذات تعقيدات معيّنة بين النساءِ المسلمات المتديّنات في إسرائيل والأكاديميا الإسرائيليّةِ والغربيّة، حيث ترى المشارِكات في أنفسهنّ سفيرات لمجموعتهنّ ومن واجبهنّ تقديم صورة دقيقة عن هذه المجموعة الأكاديميّة التي ليست على معرفة تامّة بها، بل

قد تخالفها فكريًّا. تسعى المشارِكات في تعاونهنّ إلى تصحيح مسار بحثيّ خاطئ يرَيْن أنّه قائم في الأكاديميا نفسها تحديدًا.

علاوة على ذلك، نرى في هذا المقال أنّ جانبًا من هُويّة الباحثة، القوميّة أو الجندريّة أو الدينيّة، كان عاملًا في قرار المشارِكات الإسهام في البحث، وقد يعكس هذا شعورًا بالالتزام تجاه أبناء المجموعة نفسها، أو شعورًا بالثقة بأنّ الباحثة ابنة ذات المجموعة ستلتزم بالولاء لمجموعتها، وستعرض صورة إيجابيّة عنها عبْر بحثها.

مع أنّ تعدادَ فلسطينيّي الداخل السكّانيَّ ليس كبيرًا نسبيًّا (أقلّ من مليونَيْ شخص)، وعلى الرغم من النسبة شبه المعدومة للباحثات في الأكاديميا الإسرائيليّة، فإنّ هذا المقال يعرض أربع تجارب مختلفة لأربع باحثات، تتميّز باختلافاتها بدءًا من هُويّة الباحثة، وصولًا إلى ميزات مجموعة البحث، إلّا أنّها تشترك في الخلفيّة الشخصيّة التي صدر منها سؤال البحث، والأهمّيّة التي تعطيها كلّ من المشارِكات والباحثات لهُويّتهنّ في صياغة البحث، فترى المشارِكات في أنفسهنّ باحثات حاملات لمشروع سياسيّ أو اجتماعيّ لا أكاديميّ فقط، ويعتبرن أنفسهنّ سفيرات في الأكاديميا الإسرائيليّة. في المقابل، تشعر الباحثة بنوع من المسؤوليّة تجاه المشارِكات، لكونها امرأة (كما في حالة عرين هوّاري)، أو لكونها تحمل فكرًا إسلاميًّا (كما في حالتَيْ دانية حجازي وناهد أشقر شراري). وقد يتوافق هذا الشعور بالمسؤوليّة مع ما تَوَصَّلَ إليه خالد عرار في بحثه، فالأكاديميّات الفلسطينيّات في الأكاديميا الإسرائيليّة يصلن إلى مكانة اجتماعيّة مؤثّرة، بحيث يحملن مسؤوليّة تجاه المجموعة التي يأتين منها.[42]

تترجَم هذه المسؤوليّة إلى رغبة كلّ من الباحثة والمشارِكات في إيصال أصوات هذه المجموعة على نحوٍ دقيق قدر الإمكان إلى المجتمع البحثيّ؛ ففي جميع المقابَلات مع الباحثات، جرى ذكر شعور مجموعة البحث بأنّ تمثيلهنّ في المحافل البحثيّة غير منْصِف أو غير دقيق، ممّا يزيد من أهمّيّة حاملة هذا الصوت (الباحثة) ودَوْرها تجاه مَن يملك صوتًا مشابهًا والقدرة على فهم لغة المشارِكات.

استعرضت في هذا المقال تجارب المشارِكات إلى جانب تجارب الباحثات، لفهم تجربة المشارَكة في بحث اجتماعيّ يختصّ بالمجموعات المستضعَفة. ونرى أهمّيّة وجود أبناء هذه المجموعات بين نُخَب المجتمع البحثيّ لا من أجل إظهار صورة مختلفة لهذه المجتمعات فحسب، بل لخلق توازن ضروريّ يُنظَر فيه إلى هذه المجموعات كمجتمعات لا تُنقِص بنْيتُها الاجتماعيّةُ من قدرها أو قوّتها. أضف إلى ذلك السؤالَ الذي يطرحه تحليلُ أقوال العيّنة المتواضعة من المشارِكات في هذا البحث: هل تعكس معظم الأبحاث النوعيّة في العلوم الاجتماعيّة للمجتمعات المستضعَفة صورة دقيقة لهذه المجتمعات؟ وإلى أيّة درجة تُمثِّل عيّناتُ هذا البحث المجموعةَ التي تأتي منها؟

42. Arar, Khalid. (2018). Ibid.

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات
الاجتماعية التطبيقية